الفساد وموضوع الحلال والحرام

المطران حبيب هرمز

مقدمة

الفساد موجود ما دام هناك خطيئة تولده. بعضه معلن، ولكن ما هو غير معلن اكثر، انه ليس فقط في المال كما يعتقد الكثيرون، بل هو في العقول التي لا تقبل التجديد ولا تسمح لروح الله ان يعمل ولا تقرأ علامات الأزمنة؛ عقول تريد اعادة عجلة الحياة الى الوراء.

الفساد هو شر يبدأ بالرغبة في التجاوز على حقوق الناس، ثم هو خطيئة ورذيلة. يبدأ عندما يصبح مثلا الدين وظيفة للربح او للوظائف، وعندما الوظائف في مؤسسات الدولة تصبح وسيلة ابتزاز وسرقة ورشى وحيل.

لمحة من حالة شعب العهد القديم

منذ الاف السنين عانت شعوب العالم من الفساد ومنها شعب اجداد السيد المسيح. وقد حاربه الأنبياء والأمناء لوصايا الله. فالنبي اشعيا الأول في القرن الثامن قبل الميلاد اطلق الويلات بسبب الفساد فيقول: [4] وَيلٌ لِلأُمَّةِ الخاطِئَة الشَّعبِ المُثقَلِ بِالآثام ذُرِّيَةِ أَشرارٍ وبَنينَ فاسِدين (اش 1). ونتيجة لأمانته استشهد حيث يعتقد انه تم قطع جسده الطاهر بالمنشار.

والنبي ارميا في القرن السابع قبل الميلاد رغب في العيش في البرية هربا من فساد شعبه الذي تحول الى الفسق وتشكل كعصابة غدر، شعب كذاب لا يعرف الصدق فيتمنى الهجرة الى البرية ليبتعد عنهم بسبب فسادهم وكذبهم وغدرهم. يَقولُ الرَّبّ حسب النبي ارميا (9). [3] لِيَحذَرْ كُلُّ واحِدٍ مِن صَديقِه ولا يَتَّكِلْ على احَدٍ مِن إِخوَته فإِنَّ كُلَّ أَخٍ يُريدُ أَن يأخذَ مكانَ أَخيه وكُلَّ صَديقٍ يَسْعى بِالنَّميمة [4] وكُلاًّ يَخدَعُ صَديقَه ولا يَتَكَلَّمونَ بِالصِّدْق بل عَوَّدوا أَلسِنَتَهمُ النُّطقَ بِالكَذِبِ والإِثْم وهم عاجِزونَ عنِ التَّوبَة.

والنبي حزقيال بن بوزي في بابل في بداية القرن السادس قبل الميلاد يوبخ الإسرائيليين فيقول: [47] وأَنتِ لم تَقتَصِري على القَليلِ مِنَ السَّيرِ في طُرقِهِنَّ وصُنعِ مِثلِ قبائِحِهن، بل زدتِ علَيهِنَّ فَسادًا في كُلِّ سُلوكِكِ. (حز16) وكانت النتيجة السبي الى بابل سنة 587.

والنبي دانيال في بابل يرى الفساد فيها امامه خصوصا فساد الكهنة الكلدان المقربين الى الملك فيهددهم بالموت وتدمير بيوتهم بسبب ادعائهم العلم وهم جاهلون. يقول الملك: ": (لقَدِ آتَّفَقتُم على التَّكَلُّمِ بِالكَذِبِ والفَسادِ أَمامي.) (دا 2) وحسب رؤيا النبي دانيال إن الأعظم في الفساد هو في الملك القاسي ذو فِطنَةٍ في الأَلْغاز، الذي تَعتَزُّ قُوَّتُه، ولكن لا بِقُوَّتِه، ويُفسِدُ إِفْساداً عَجيباً، وَينجَحُ ويَعمَل ويُدَمِّرُ الأَقوياء، وشَعبَ القِدِّيسين. (دا 8).

وفي القرن الثالث قبل الميلاد حيث كانت الأراضي المقدسة تحت الإحتلال اليوناني كتب يشوع بن سيراخ: [3] أيُّها المَيلُ الفاسِد مِن أَينَ خُرِطتَ فغَطَّيتَ اليابِسَةَ مَكرا؟ (يش 37) ويطلب التوبة فيقول: [6] أذكُرِ العاقِبَةَ وكفَّ عنِ العَداوة واْذكُرِ الفَسادَ والمَوتَ واْثبُتْ على الوَصايا. (يش 6) وسبب ذلك هو ان: "[19] كُلُّ عَمَلٍ فاسِدٍ يَزول وعامِلُه يَذهَبُ معه." (يش 14)

من اقوال السيد المسيح

ورغم ان الأنبياء طالبوا بالكمال وتوخي العدل لكن الحل الجذري للفساد كان بالمسيح كلمة الله كي يولد الإنسان الجديد المحب والرحوم وفاعل الخير وخادم اخوته. ولعّل من اهم اقوال السيد المسيح هي خطبته على الجبل (انجيل متى 5–8) حيث حذّر من سلوك الطريق الخاطيء عندما قال [13](أُدخُلوا مِنَ البابِ الضَّيِّق. فإِنَّ البابَ رَحْبٌ والطَّريقَ المُؤَدِّيَ إِلى الهَلاكِ واسِع، والَّذينَ يَسلُكونَه كَثيرون. [14]ما أَضْيَقَ البابَ وأَحرَجَ الطَّريقَ المُؤَدِّيَ إِلى الحَياة، والَّذينَ يَهتَدونَ إِليهِ قَليلون.) وكشف عن القاعدة المثلى عندما قال [12](فكُلُّ ما أَرَدْتُم أَن يَفْعَلَ النَّاسُ لكُم، اِفعَلوهُ أَنتُم لَهم: هذِه هيَ الشَّريعَةُ والأَنبِياء.) (متى 7)

الحلال والحرام

هناك عبارة خاطئة منتشرة لدى اصحاب الضمير المطاط وهي ان الحلال هو "كل ما حل في اليد" وعبارة اخرى تقول ان "المال العام حلال". وهذه العبارتين وغيرهما هي من ثمار الجهل والتخلف الذي نعاني منه. ان كل ما يؤذي الشخص المقابل هو حرام؛ بالقول والفعل. واليوم في احاديث الناس التركيز في الموضوع هو ما يخص المال والعقار، ولكن ايضا هناك الزنى والكسل والكلام الباطل والعين الشريرة والطمع وحسد الآخرين والمقَاصِدُ السَّيِّئَة والقَتْلُ والفُحْشُ والسَّرِقَةُ وشَهادةُ الزُّورِ والشَّتائم، وسلب حقوق النشر، هذه كلها حرام.

اذا سلب المال العام والخاص وكل ما يرتبط به كالعقارات والممتلكات هو حرام لأنه اذية لا تقبلها الشرائع السماوية والدنيوية فوصية الله حسب سفر الخروج 20: 15 تقول (لا تسرق) اضافة الى كونه ظلم واعتداء. فالمال والعقار العام هو ثمرة جهد الشعب كله وخير البلد والذي يفترض ان يتمتع به كل المواطنين، اما المال والعقار الخاص فهو ثمرة شخصية، ومن حق الشخص ان يحمي ثروته، ولا فرق بين من يعتدي على مال عام او خاص.

لذلك لا فقط نتحمل مسؤولية الحفاظ على الثروة النقدية ولكن ثرواتنا الأخرى كالجامعات والمستشفيات والمدارس والمصانع والمعامل وحقول استخراج النفط والمعادن ودوائر الدولة والطرق والجسور ومحطات الكهرباء والمياه والملاعب والحدائق وكل مرافق المجتمع. نحن نفتخر بها لأنها جهود من سبقونا في العمل والبناء والإعمار؛ انها علامة حياة الشعوب. وعلينا مسؤولية تنميتها وتطويرها كي تستفاد منها الأجيال القادمة.

اذا يمكن توسيع مفهوم المال ليشمل كل ما يملكه الأشخاص والجامعات مثل النتاجات الفكرية والإبداعات مثل: محتويات الإصدارات الثقافية عموما: كتب، بحوث، مقالات، لوحات فنية، فن، فولكلور. ان لهذه النتاجات حرمة. وذلك الموضوع يشمل ايضا محاولات تدمير الأدوات والآثاث والوثائق، وحتى توفر النية لفعل الحرام.

ان الإعتداء على المال العام والخاص هو الإفساد بعينه وعلامة ان الشخص المعتدي هو عدو الله وذاته وعائلته والمجتمع.

ولا يقل اهمال الإهتمام بالمال العام (وحتى الخاص) (خصوصا عن عمد) او اهمال صيانتها او التسبب في اعطالها خطرا عن الإعتداء المباشر. ويشمل هذا اخذ النقود دون وجه حق وقبول الرشوة واحتلال اراضي الدولة والغير وحتى التهديد باللسان.

الموقف من حرمة المال يضعف عندما المجتمع يكون منقسما على ذاته اي طائفيا او مذهبيا حيث يسهل التملص من آثار الإعتداء بسبب كثرة التعليمات والتوجيهات ووجود المرونة في بعض الأحيان والتطرف في احيان اخرى – كما حصل في حادثة الفرهود – وفي سلب عقارات وبيوت واملاك المواطنين بحجج مختلفة وبالأخص المهاجرين والمهجرين كالمسيحيين والإيزيديين والصابئة وبقية المكونات الصغيرة في العدد.

في المسيحية الشخص المعتدي يعتبر دنسا وشريرا ومعرضاً للغضب الإلهي. وهذه العقوبة تتدرج حسب الفعل، وعليه ان يندم ويتوب ويعترف كي يغفر له الله والناس. يقول الكتاب المقدس وفي سفر الأمثال "المالُ المُقتنى منَ الباطِلِ يَتَناقص." وفي محل آخر " ذو العَين الشَريرَةِ يَتَهافَتُ على المال ولا يَعلَمُ أَنَّ العَوَزَ يُدرِكُه." وسليمان الحكيم يقول: " كُنوزُ الحَرام لا تنفع." اما في الإسلام او الصابئة فأتركه للأخوة المشاركين.

ختاما، دعوتنا هي الإهتمام بالتربية من خلال العائلة والمدرسة ومؤسسات الدولة والمجتمع المدني ووسائل الإعلام والتواصل الإجتماعي والإستفادة من اماكن العبادة وحتى اعلانات الشارع بهدف بث الوعي بأهمية الحفاظ على هذه الممتلكات والمنجزات والمكتسبات وتربية أبنائنا على الكسب الحلال والعفاف والورع. التربية على تقديم الشكر لله وللبشر الطيبين حيث بالشكر تزداد النعم. كما انه من الضروري التأكيد على اداء الأمانة ويجب تكريم الامناء والعاملين بالشفافية وفعلة الخير.